إطلالة

العدوان على غزّة وسقوط الأقنعة الغربية

نهاية مزاعم الأخلاق

تنهار كلّ مزاعم الأخلاق الغربية في غزّة؛ فما يرتكبه الاحتلال الإسرائيلي، بدعم أميركي وأوروبي، من مجازر وانتهاكات صارخة لأبسط حقوق الإنسان الفلسطينيّ ليس في النهاية سوى نتيجة لمنظومات غربية فاشيّة لا تعترف سوى بمنطق القوّة

عاطف الشاعر

الأنظمة الدولية التي وُجدت بعد الحرب العالمية الثانية على وجْه الخصوص، اتّخذت نبرة أخلاقية، فقد رأى العالم آنذاك أنّ الانزلاق في وحل الحرب له كلفة بشريّة وحضارية عالية جدّاً. لكن، وحتّى في أوج النبرة الأخلاقية التي ظهرت خصوصاً في الغرب الذي لطالما ارتكب مجازر بحقّ شعوب أصلية، لم تكتفِ تلك الأنظمة بالدفاع عن مصالحها فحسب، بل أنشأت كيانا على حساب العرب الفلسطينيّين، بعد الحرب العالمية الثانية بثلاث سنوات، وقسّمت شبه القارّة الهندية إلى الهند وباكستان عام 1947، وقتْل وهجّر خلال ذلك ملايين من البشر، وأيضاً جرى احتكار التصويت وحقّ النقض على قضايا البشرية جمعاء من قِبل قوى ظالمة.

وبالتالي، خضعت البشرية كلّها لأهواء ومصالح هذه البلدان، التي بلا شكّ هي أيديولوجية وليست أخلاقيّة البتّة. ومنذ ذلك الوقت ارتكبت هذه البلدان مقتلات عديدة بحقّ شعوب وأمم أخرى، سواء في أميركا اللاتينية، أو في بلدان مثل كمبوديا، من خلال دعم نظام الخمير الأحمر الفاشي، أو حكومة إندونيسيا بقيادة سوهارتو، والتي ارتكبت مجازر ضدّ التيموريّين الشرقيّين في السبعينيات من القرن الماضي. وهكذا تربّعت أميركا على عرش هذه الأنتهاكات الجسيمة كداعمة للأنظمة الفاشية في هذه البلدان.

وحين نقفز إلى فترة التسعينيات، حيث انتهى الاتحاد السوفييتي بكلّ قوّته وجبروته، ووضعت الحرب الباردة أوزارها، احتفل الغرب بهذه اللّحظة التي تُوّجت بسقوط جدار برلين. بعدها بقليل، كتب المُنظّر الأميركي فرانسيس فوكوياما أطروحته ذائعة الصيت في كتابه «نهاية التاريخ»، حيث أتى على أنّ اقتصادات السوق، أيّ الرأسمالية والليبرالية، والنظام الغربي الديمقراطي، هما الأكثر احتراماً للحقوق الفردية؛ إذ يضمنان الاستقرار السياسي والعالمي في مناخ تنافسيّ ضمن قواعد رأسمالية تقوم على جهْد الفرد والدولة التي وراءه، معتبراً أنّه لن يكون هناك نظامٌ آخر يستطيع منافسة أو هزيمة هذا النظام الذي هو التتويج الأمثل لأفكار الإنسان المتقدّمة. فكرة نهاية التاريخ صاحبَها احتفاءٌ كبير بالصعود الغربي وبدء كثير من الدول النامية وغيرها بتقليد هذا النموذج.

هذه الأطروحة ليست سوى أكذوبة كُبرى؛ لأنّ التاريخ البشري، عند رؤيته من منظور أوسع، هو تاريخ تصارُع وتدافع قوى وتمدّد: العراقيون القدامى (الأكاديون والسومريون، إلخ)، فمصر الفراعنة، فالبيزنطيون، فالرومان، فالمسلمون، فالأوروبيّون، فالإمبركان... والآن تتحرّك الصين وروسيا نحو عالم متعدّد الأقطاب. وهكذا، فإن مصطلح «نهاية التاريخ»، الذي يشير إلى حسم معارك وحروب معيّنة في وقت معيّن وما يبدو كحسم لسجالات فكرية معيّنة، ما هو إلّا أداة من أدوات القوّة الحاكمة والمُبسطرة لتثبيت الهيمنة وترسيخها ثقافياً وليس فقط سياسياً واقتصادياً. فكم من الشعوب والأمم استسلمت لهذه الفكرة في أوجها في التسعينيات، وبعدها بدت أميركا وكأنّها تتربّع على عرش العالم، بينما كانت الصين وغيرها من القوى الصاعدة يبطء آنذاك بعيدة عن المشهد العالمي كقوّة عالمية. وقد طوّرت أميركا والغرب من قوّتهما من خلال استعمال الثقافة وما يُسمّى «القوة الناعمة»، التي تشمل السينما واللغة الإنكليزية والروايات البوليسية والعاطفية والإعلانات ووسائل التواصل الاجتماعي المسيّرة والمحكومة برأس مال أميركي على وجه الخصوص، والاحتفالات المنتقاة والمنقوصة بحقوق النساء وحقوق الإنسان والحيوان، والإشارات الوهميّة بمحاربة الفقر في أفريقيا ونشر التطوير فيها، بينما يموت الكثيرون في هذا البلد أو ذاك من الجوع والعطش والجفاف الذي تسبّبه الدول الرأسمالية الكبرى على شاكلة أميركا والصين وأوروبا وغيرها من خلال انتهاكات بيئية وسياسية جسيمة. لقد وضع الغرب نفسه كأنّه حامي حِمى حقوق الإنسان، وحارس الديمقراطية وأنموذج كلّ القيم الإنسانية النبيلة، وأيضاً خلق مساحات لا بأس بها داخل حدوده توحي بذلك لدرجة معيّنة، لكنّ الحقيقة تبقى أبعد من هذه الصورة المبسّطة والمشوّشة.

> يضعُ العدوان القيَم الغربيةَ في منطقة كاشفة تماما

ثمّ أتى العدوان على غزّة، حيث المجازر والتدمير بحقّ الفلسطينيّين المظلومين بلا شك بالجملة. وهنا تقف المؤسّسات الدولية عاجزةً عن التدخّل ووضع حدّ للمعاناة البشرية المهولة، ووجد الغرب، وخصوصاً أميركا وتابعيها في أوروبا، نفسه في مكان يكشفهم تماماً. لقد سقطت كلّ الأقنعة الأخلاقية، وهُم يقودون حملة تدمير وتشويه وتعذيب ضدّ شعب أعزل، يتقدّمهم مجرمون من أمثال نتنياهو، الذي يتّخذ من الإبادة والكذب والغطرسة منهجيّة ثابتة لكلّ حديث وكلّ خطاب؛ فها هي أميركا تقود حملة لوقف دعم «الأونروا»؛ تلك المنظّمة الدولية التي تحاول بشقّ الأنفس مساعدة الفلسطينيّين في غزّة للاستمرار في الحياة التي تتفاقم استحالتها يوماً بعد يوم على وقع الضربات الإسرائيلية لكلّ البنية التحتية والخدماتية من مستشفيات إلى مدارس إيواء، وهدم مربّعات سكنيّة على رؤوس ساكنيها.

(كاتب وأكاديمي فلسطيني مقيم في لندن)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

طفلة فلسطينية مع والدها تنتظر تلقّي العلاج بعد إصابتها في غارة جوية إسرائيلية على خانيونس 5 كانون الأول/ ديسمبر 2023 (Getty)

منظومات فاشيّة

ما يحدث من انتهاكات صارخة لأبسط الحقوق الإنسانية للشعب الفلسطيني هو تتويج لسياسات ومنظومات فاشيّة تتفوّق فيها القوّة الغاشمة وصناعة الاسلحة وتجريبها على اجساد الاطفال والنساء والبيوت في غزّة، ولا شكّ انّ العدوان الصهيوني المتواصل على غزّة منذ قرابة اربعة اشهر واصطفاف الدول الغربية وراءه من خلال دعم المجازر الاسرائيلية هناك هو عارٌ تامّ على جبين الانسانية، ولن يشفى من ويلاته وتداعياته احد.

ندوة

جان ـ بيير فيليو خطّ واصل بين ثلاث أزمات

من سورية إلى أوكرانيا إلى غزّة

في محاضرته التي احتضنها «المركز العربي» بالدوحة أوّل أمس، انطلق المؤرّخ الفرنسي من ضرورة إيضاح الخطّ الواصل بين الأزمات التي نعيشها اليوم

الدوحة ـ **العربي الجديد**

«من سورية إلى غزّة مروراً بأوكرانيا» عنوان محاضرة قدّمها الباحث والمؤرّخ الفرنسي جان ـ بيير فيليو صباح أوّل أمس الثلاثاء في «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، ضمن سلسلة جلسات تنظّمها «وحدة الدراسات الإستراتيجية» في المركز، وقدّمها الباحث عمر عاشور.

انطلق الباحث من «ضرورة إيضاح الخطّ الواصل بين الأزمات التي نعيشها»، مشيراً إلى أنّ «بنيامين نتنياهو لديه ثلاثة أسباب ليشعر بالامتنان اليوم لبشّار الأسد؛ أوّلاً، كون الأسد قد حافظ منذ 2011 على حالة حماية لهدنة وقف إطلاق النار بين إسرائيل وسورية، وهذا ما سمح باحتفاظ إسرائيل بهضبة الجولان؛ وثانياً لأنه دمّر إرث حلب المُمتدّ لألف سنة، وهو ما يفعله نتنياهو اليوم مع غزّة؛ وثالثاً لأنّ النظام السوري استخدم السلاح الكيماوي وارتكب أفظع جريمة عام 2013، ثمّ أفلت من العقاب، الأمر الذي أسّس سابقةً في مثل هذه الأفعال».

ولفت صاحب «غزّة: تاريخ» إلى أنّ وزير الخارجية الأميركي الأسبق، جون كيري كان ضامناً لإفلات الأسد من العقاب، لأنه لم يُنفّذ ما هدّد به من عُقوبات على تجاوُز ما يُسمّى الخطوط الحمراء، وتابع: «فرْض عقوبات جماعيّة على مجموعة سكّانية كبيرة، ومَنْع الإعلام العالمي من تغطيتها، فضلاً عن استهداف صحافيّين بالقتل والخطف، مثل ما حدث مع ماري كولفين وآخرين استُهدفوا في حمص، كلّ هذا شهدته سورية. طبعاً إسرائيل لم تطرد الصحافيّين الأجانب من غزّة في الحرب الراهنة فقط، فالحصار طيلة 16 عاماً كان قد تكفّل ببعض هذا أيضاً». واستذكر المؤرّخ الفرنسي ظاهرة «المواطن الصحافي»، التي بدأت مع الثورة السورية، «أولئك الذين كانوا يُخاطرون بأرواحهم ليُرسلوا للعالم صُوراً عن المجازر الفظيعة. رأيتُ ذلك في حلب، حيث كنتُ هناك في صيف 2013، قبل وقت قصير من القصف الكيماوي في ريف دمشق»، مذكّراً هنا بناشطي التنسيقيات التي كانت الهيكل الأساس والقاعدة القويّة للثورة السورية، حيث لكلّ تنسيقية قسمٌ إعلامي. وقارن فيليو بين هؤلاء وبين من نراهم اليوم من صحافيّين على أرض غزّة وكيف تُشكّك «إسرائيل» في سردياتهم، لكنّ الأهم برأيه، هو «المحافظة على حياة هؤلاء الصحافيّين، خصوصاً مع تجاوز أعداد من قُتل منهم المئة»، مؤكّداً أنّ مُعاناة الصحافيين لا تنفصل عن معاناة السكّان كلّهم، ومُشيراً إلى لجوء «إسرائيل» لأساليب المنع والتشهير بالصحافيّين، من خلال اتّهامهم بأنّهم سلفيّون وجهاديّون، واصفاً هذه الأساليب بـ«القمع المنهجي الذي سبق أن تعامل به النظام السوري مدعوماً من بوتين». واستهجن الباحث الفرنسي انسياق الرئيس الأميركي جو بايدن لترويج أكذوبة قطع رؤوس أربعين طفلاً من قبل حركة حماس، مُعتبراً ذلك «إحدى محاولات شيطنة الفلسطينيّين من خلال إخراجهم عن نطاق الإنسانية، لكي يُسمح لإسرائيل بأن تتحرّر من قيود احترام القانون الإنساني والدولي». وهنا كان لا بدّ من ذكر الرئيس الروسي: «فلاديمير بوتين المُخابراتي أعلمُ الناس بهذه التصرّفات. هذه هي ثقافته: اكذب اكذب، فكلّما كبرت الكذبة تبقى في الوجود بشكل أقوى. هكذا برّر الغزو الشامل لأوكرانيا في شباط/ فبراير 2022، مع العلم أنّها بدأت قبل عشرة أعوام، من خلال احتلال وضمّ شبه جزيرة القرم وإقليم دونباس».

> يجري التخلّي عن غزّة مثلما خُذل السوريون خلال عقد كامل

ونبّه أستاذ دراسات الشرق الأوسط في «معهد العلوم السياسية» بباريس إلى أنّ «المزاعم الروسية بأنّ المقاومة الأوكرانية ليست سوى حفنة من النازيّين، تُذكّر بمقولة بتسلئيل سموتريتش (عضو «الكنيست» عن «البيت اليهودي»)، بأنّه هناك مليونا نازي في الضفّة الغربية وغزّة، كما أنّ نتنياهو يتحدّث عن النازية كلّ يوم، وهذا ما فعله بوتين لنزع الشرعية عن المقاومة الأوكرانية باتّهام شقّيها العسكري والمدني بالنازية. وإن ظلّ واقع الحرب في أوكرانيا مختلفاً عمّا هو عليه في غزّة وسورية، حيث ما زال تحت أنظار الصحافة العالمية».

وختم فيليو بأنّه سبق له أن حاضر حول أوكرانيا في «المعهد الفرنسي» في غزّة، والذي قصفه الاحتلال الإسرائيلي مؤخّراً، وقال إنّ الذين التقى بهم هناك أبدوا يأسهم بسبب أنّ لا أحد يتذكّر مأساتهم. و«بالفعل، كما خُذل السوريون خلال عقد كامل من الكوابيس، يجري التخلّي عن الغزّيّين اليوم».

جان ـ بيير فيليو

جانب من المحاضرة

معرض

لن نرحل توثيقٌ فنّي لحرب الإبادة

تلخيص حكاية فلسطين

في المعرض الذي تحتضنه «دارة الفنون» في عمّان، توثّف الفنّانة الأردنية الفلسطينية سهى شومان لقصّة فلسطين منذ النكبة وحتى العدوان الحالي

عمّان ـ **العربي الجديد**

في ظلّ العدوان الإسرائيلي المستمرّ على غزّة، تبرز، أكثر من أي وقت مضى، الحاجة المُلحّة لسماع أصوات الفنّانين. ولأنّ هؤلاء يُعبّرون بطرقهم الخاصّة عن واقع عالمنا اليوم والظلم الذي حلّ به، لجأت «دارة الفنون» في عمّان، منذ بدء العدوان، إلى الفنّ للتضامن مع غزّة، باعتباره سلاحاً فعّالاً في توثيق الانتهاكات التي يرتكبها الاحتلال. هكذا عرض الفضاءُ أعمالاً فنّية من مجموعة «خالد شومان» الخاصّة لكلّ من سميرة بدران، وجمانة إميل عبود، ورولا حلواني، ومنى حاطوم، وخالد حوراني، وإسماعيل شموط، وغيرهم، كانت بمثابة توثيق للمقاومة الفنّية في فلسطين عبر وسائط فنية مختلفة، تتضمّن الرسم والتصوير والتصميم والخطّ والشعر والتركيبات الفنّية وأعمال الفيديو. «لن نرحل» هو عنوان مشروع توثيقي لسهى شومان، تستضيفه «دارة الفنون» في جبل اللويبدة بعمّان حتى الثامن والعشرين من آذار/ مارس، ومن خلاله تحاول الفنّانة الأردنية الفلسطينية محاكاة تداعيات حرب الإبادة المتواصلة على غزّة عبر اشتغالات متعدّدة الوسائط، إضافة إلى تلخيص حكاية فلسطين عبر زوايا وجداريات ومحتويات مختلفة. يتألّف المعرض من مجموعة جداريات، تتّخذ الأولى لون البياض؛ لا الأحمر كما هو سائد في الجداريات الأخرى، وكُتب عليها جزءٌ من ترجمة لقصيدة محمود درويش «عابرون في كلام عابر» إلى الإنكليزية. أخذت هذه الجدارية مساحة كاملة مع جدارية أخرى بالعربية جمعت بين كلمات القصيدة وشاشة تعرض الشاعر وهو يلقيها بصوته.

الجدارية الثانية جاءت بعنوان «تصريحات قادة إسرائيل»، مع شاشة عرض تُقدّم بطريقة فنّية الانتهاكات المتواصلة منذ ما يزيد على خمسة وسبعين عاماً، إضافة إلى عنصرية الاحتلال منذ تصريح بن غوريون عام 1948 بأنّه «يجب علينا فعل أيّ شيء لضمان عدم عودة الفلسطينيين»، مروراً بتصريحات في عقود متتالية، كتصريح رئيس وزراء الاحتلال الأسبق إيهود باراك بأنّ «الفلسطينيين مثل التماسيح كلّما أعطيتهم لحماً أكثر، فإنّهم يريدون المزيد»، ووصولاً إلى التصريحات التي تزامنت مع العدوان الجاري في غزّة، وبينها تصريح يوآف غالانت، في الثاني عشر من تشرين الأوّل/ أكتوبر بأنّهم «يحاربون حيوانات بشرية في غزّة».

جدارية حمراء أخرى خُطّ عليها بالأسود «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان»، تلته جدارية «بلوكات الموت» التي ترصد الخريطة العنصرية في قطاع غزّة بخصوص أكذوبة المناطق الآمنة، وجدارية «حرب على الفن والثقافة»، والتي تشتمل على قائمة الفنّانين ومنسّقي المعارض والنشطاء الثقافيّين والصحافيّين الذين استُهدفوا أو أُسكتوا أو جرى إيقافهم، علاوة على شهداء القطاع الثقافي والفنّي والصحافة في غزّة.

> مساحةٌ بصرية لتصريحات قادة الاحتلال منذ بدء العدوان على غزّة

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

من المعرض

فعاليات

عند الثانية من مساء بعد غدٍ السبت، تُعرض **حركة الشباب الفلسطيني** في مونتريال الكندية، عبر منصّة «زوم»، شريطاً توثيقياً بعنوان **المقاومة الشعبيّة من الضفّة إلى غزّة**. يرصد الشريط عمليات المقاومة في الضفّة الغربية بعد السابع من تشرين الأول/ اكتوبر الماضي، ويلي العرض نقاشٌ مع الحضور.

تحت عنوان **زمن فلسطين والثقافة العربية**، يُقام، عند الرابعة من مساء الثلاثاء المُقبل، في جريدة «السفير» ببيروت، لقاءٌ تكريمي للباحث العراقي **عبد الحسين شعبان** (1945/ الصورة)؛ حيث تُناقش كتب شعبان المتمحورة حول فلسطين والثقافة العربية. من المشاركين في اللقاء: **نصري الصايغ**، و**سعد الله مزرعاني**، و**اوغاريت يونان**، و**شيرزاد النجار**، و**مروان عبد العال**.

اعزّائي اطفال المستقبل عنوان فيلم يُعرض في «مؤسّسة عبد المحسن القطّان» برام الله، عند الرابعة من مساء الثلاثاء المُقبل. الشريط (89 د/ مُترجم إلى العربية) مُوجّه لفئة اليافعين فوق 13 عاماً، ويتناول قضايا العدالة الاجتماعية والمقاومة ومشاركة الشباب في الحياة السياسية.

يلتقي الطبيب والمُحلّل النفسي المجري الكندي **غابور ماتي** (1944) بابنه الموسيقي **دانييل** في جلسة افتراضية بعنوان **الأزمة في غزّة: التعامل مع الحوارات الصعبة**، ينظّمها «مؤتمر العلم وعدم الازدواجية»، عند التاسعة والنصف من صباح السادس عشر من الشهر الجاري. ماتي ناجٍ من الهولوكوست ومُدافع عن الحقّ الفلسطيني.